مفهوم الفضاء والديناميات الاجتماعية من المنظور السوسيولوجي

The concept of space and social dynamics from a sociological perspective.

حسن عالي*
جامعة سعيدة،
(الجزائر)
haceneaali@gmail.com

زرقة دليلة
جامعة سعيدة،
(الجزائر)
zergadallal@gmail.com

تاريخ الاستلام:2021-07-01 تاريخ القبول: 2021-09-05

ملخص:
الفضاء العام هو في الأساس الفضاء الاجتماعي "أنماط العيش معا" والاعتراف بالآخر في المجال العام الذي يتغير باستمرار،وبهذا المعنى فإن الفضاء الاجتماعي العام "الاستخدام" يثير مسألة تطور الممارسات والسلوكيات في مواجهة ظوهر اجتماعية معقدة.
يتكون الفضاء الاجتماعي من عدة مستويات، أما الحقل لتحديد المبادئ المشروعة لتقسيم منافع هذا الحقل. ويتحدد وضع الافراد والجماعات بالوضعيات التي يشغلها ضمن هذا الفضاء الاجتماعي. وتبعا لذلك، ليس الفضاء الاجتماعي حيزا جغرافيا، ولا تجمعا لأشخاص، بل هو بناء اجتماعي، خفي، دينامي، تفاعلي، يجب كشفه .وخلافا لما كتب حول الفضاء الاجتماعي، يكشف تصور، بورديو على أن ما يعتمل داخل الفضاء، لا يهدف دائما الى التغيير، ونشر الديمقراطية(*Habermas, 1997*)، بل إلى فرض الهيمنة وتأبيد الأوضاع، وبالتالي، لابد من إبراز ديناميتي الفضاء الاجتماعي العمومي: دينامية التغيير، ودينامية الحفاظية.

الكلمات المفتاحية: فضاء عام؛ أطروحات بورديو؛ ديناميات المجتمع؛خصوصية المجتمع؛الحقل الاجتماعي.

Abstract :
Public space is primarily the social space "patterns of living together" and recognition of the other in the constantly changing public domain, and in this sense the public social space "use" raises the question of the development of practices and behaviors in the face of complex social phenomena.
The social space consists of several levels. As for the social field, it is dominated by dominating relationships, as it is a place for a hidden and declared struggle to define the legitimate principles of dividing the benefits of this field. The status of individuals and groups is determined by the positions it occupies within this social space. Accordingly, the social space is not a geographical space, nor a grouping of persons, but rather a social structure, hidden, dynamic, interactive, that must be revealed. Contrary to what was written about social space, Bourdieu's conception reveals that what takes place inside space is not always aimed at change and spreading democracy(Habermas, 1997). but rather to impose hegemony and perpetuate conditions, and therefore, the dynamics of the public social space must be highlighted: dynamism Change, dynamic and conservative.

KeyWords: public space; Purdue theses; community dynamics; community privacy; social field

*المؤلف المرسل

المقدمة:

بطريقة صريحة ومتنامية ، يقدم علم الاجتماع بيير بورديو نفسه كنظرية للفضاء ، أو بشكل أدق ، نظرية الفضاء: الفضاء الاجتماعي.

يتم تعريف الفضاء الاجتماعي من خلال الاستبعاد المتبادل ، أو التمييز بين المواقف التي تشكلها ، أي على أنها بنية تجاور المواقف الاجتماعية (تعرف نفسها ، كما سنرى ، على أنها مواقف في هيكل التوزيع لأنواع مختلفة من رأس المال).

لغة الفضاء هذه ليست مجازية بأي حال من الأحوال. على العكس من ذلك ، فإنه يحدد بوضوح برنامج علم الاجتماع ، كما يفهمه P. Bourdieu. إنه سؤال هنا عن منطق أكثر هندسية ، وبالتالي بناء هذا الانضباط على أسس شفافية معينة ، وبالتالي ، محاولة التغلب على بعض المعضلات التي لا نهاية لها للفكر الفلسفي والعلمي ، وهو تجاوز يشكل أحد الجوانب الأخرى لبرنامج النظرية P. Bourdieu.

1.أسئلة البحث:

ما هو شكل وأبعاد الفضاءات الاجتماعية؟ كيف ربط بورديو الفضاء الاجتماعي بالحقل السوسيولوجي؟ ما هي أهم سياقات الفضاء الاجتماعي؟ ماذا أراد بورديو من تأسيسه لهذه المفاهيم؟.

2. الأهداف:

يمكن أن نجمل أهم أهداف الدراسة في:

- محاولة فهم سؤال الفضاء الاجتماعي وفق المنظور السوسيولوجي.
- معرفة المفاهيم والأسس التي اعتمدها بورديو، في فهم الفضاءات الاجتماعية.
- إبراز العناصر الكامنة للفضاء الاجتماعي،متعددة الأبعاد ومتداخلة التوجهات.
- فهم موضوع الفضاء الاجتماعي داخل الحقل السوسيولوجي،الذي يمثل الإطار العام للكلية الاجتماعية.

3. أهمية البحث:

- تسليط الضوء على مفهوم الفضاء في الدراسات السوسيولوجية.
- دور الفضاء العام في تشكيل النخب ومحاولة فهم الواقع الاجتماعي.
- مفهوم الفضاء العام في التأسيس لمفهوم المجتمع المدني.
- الكلية الاجتماعية لا تتبنى ولا تفهم إلا في الفضاءات العامة.

4. مصطلحات البحث: سيتم التوسع فيها من خلال المواضيع التي تطرق إليها بيير بورديو في أطروحاته.

- سوسيولوجيا
- الفضاء العام
- الحقل السوسيولوجي
- الديناميات الاجتماعية

5. مصادر الدراسة:

أهم كتب عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو:

1. سوسيولوجيا الجزائر (1958)
2. الورثة: الطلبة والثقافة (1964)
3. التكرر: موادّ من أجل نظرية لنظام التعليم (1970)
4. التميز: نقد اجتماعي للأحكام (1979)
5. الحس العملي (1980)
6. بؤس لعالَم (1993)
7. مسائل في علم الاجتماع (1994)
8. الهيمنة الذكورية (1998)

6. الفضاء الاجتماعي، هيكل متعدد الأبعاد:

يواجه علم الاجتماع كائنًا معقدًا، "المجتمع"، والذي لا يمكن اختزاله إلى مجموعة من الأفراد، بغض النظر عن الخصائص النفسية والسلوكية التي تعزى إلى آخرها. عندما يولد الطفل، فهو غارق في بيئة شديدة التنظيم بالفعل، ولها تاريخ طويل أو أكثر من المبادئ التنظيمية، التي كانت موجودة من قبل، وإلى حد كبير، تنجو منه. هذه تختلف اختلافًا كبيرًا في الزمان والمكان وتؤدي إلى أنواع من العلوم الإنسانية متشابهة ومختلفة.

يُعد عالم اجتماع فرنسي بيربورديو (1 أغسطس 1930 – 23 يناير 2002)، أحد الفاعلين الأساسيين بالحياة الثقافية والفكرية بفرنسا، وأحد أبرز المراجع العالمية في علم الاجتماع المعاصر، بل إن فكره أحدث تأثيرا بالغا في العلوم الإنسانية والاجتماعية منذ منتصف الستينيات من القرن العشرين. بدأ نجمه يبزغ بين المتخصصين انطلاقًا من الستينيات بعد إصداره كتاب الورثة عام 1964.

أكد بيير بورديو بشكل خاص على الجمع بين مبدأين رئيسيين لتنظيم الشركات(ليبارون، 2015). الأول، الذي يسميه رأس المال الاقتصادي، هو التوزيع غير المتكافئ للموارد المادية والنقدية التي تميز أي مجتمع. يتم تكرار مبدأ التمييز هذا من خلال ممارسات مثل الخلافة وجميع أشكال الميراث ونقل الثروة التي تحافظ على هيمنة بعض الأفراد والأسر. تتمثل أصالةBourdieu في إظهار أن استنساخ الهيمنة الاقتصادية يفترض الحفاظ على التصرفات

الاجتماعية التي تجعل من الممكن ضمان الحفاظ على التسلسلات الهرمية إلى ما بعد الأجيال وحكم عمليات التراكم.

علاوة على ذلك، يتجاوز هذا المبدأ الاختلافات في أنظمة الملكية، حيث إن التفاوتات الاقتصادية لا تمحى في المجتمعات التي تعرف نفسها بأنها اشتراكية، حتى لو كانت تتخذ أشكالًا مختلفة، ترتبط ارتباطًا أوثق ارتباطًا وثيقًا بالتحكم في الموارد السياسية. أو البيروقراطية.

تضيف لعبة رأس المال الاقتصادي، التي تكتسب أهمية متزايدة مع الثورة الصناعية وصعود الرأسمالية، بطريقة ليست مجرد مادة مضافة، رأس المال الثقافي. هذه الفكرة، التي تم تصميمها مبدئيًا للسماح بفهم أوجه عدم المساواة التعليمية، مكّنت إلى حد كبير من تنوير هيكلة المجتمعات، خاصة المتقدمة منها، حيث احتل نظام التعليم مكانة مركزية في عمليات الإنجاب الاجتماعي. إن نقل الموارد الاقتصادية لا يكفي لضمان الوصول إلى الوظائف في قمة التسلسلات الهرمية الاجتماعية: من الضروري أيضًا، بشكل عام، تجميع رأس المال المدرسي، لا سيما من خلال التدريب على شغل المناصب القيادية والأدوات الرمزية التي مرافقتهم. بشكل ملموس، أصبح كبار المديرين التنفيذيين للرأسمالية المعولمة الآن أول من حصلوا على درجة الماجستير في إدارة الأعمال أو الدكتوراه، مما يعني وجود استثمار كبير، اقتصاديًا ووقتًا.

يحدد التكوين النسبي لرأس المال الاقتصادي ورأس المال الثقافي الهيكل متعدد الأبعاد للحيز الاجتماعي: بدلاً من التفكير في المجتمع كهرمية واحدة، يرى بيير بورديو تداخلًا بين هرميات متعددة ومتنافسة، مترسبة في عادات متنوعة. المعارضة المتزايدة تفصل أصحاب رأس المال الاقتصادي بشكل أساسي عن أولئك الذين يعتمد مركزهم بشكل أساسي على رأس المال الثقافي.

7. التمايز الأفقي، الجانب المركزي للديناميات المعاصرة:

الهياكل الاجتماعية، بعيدة كل البعد عن إدامة نفسها بشكل متماثل،لبورديو، بالتعريف التاريخي. يرى في عملية التمايز "الأفقي" للمجتمعات، ولا سيما الجانب المركزي للديناميات الحديثة والمعاصرة. يؤدي هذا التمييز إلى نشأة فراغات معينة داخل الفضاء الاجتماعي: الحقول.

فكر بوردو في الحقول باعتبارها هياكل اجتماعية مستقلة نسبيًا تنشأ من عمليات طويلة الأجل (مثل الاحتراف وإضفاء الطابع المؤسسي)، من خلال جهات فاعلة اجتماعية معينة، قادرة على تحقيق "الثورات الرمزية": وبالتالي إنشاء أكوان مرجعية وتقييمية، وقواعد اجتماعية ولغوية جديدة تفصل أنشطتها بشكل أوضح عن بقية المجتمع.

يوضح المجال العلمي هذه الحركة: منذ القرن السابع عشر و "الثورة العلمية"، ظهرت كفضاء اجتماعي حيث تسود قواعد خاصة لتعريف وتقييم ممارسات المعرفة(حسن، 2003، صفحة 201).

في فترة أكثر حداثة، اكتشف" Bourdieu ميول مضادة" لعملية الاستقلال الذاتي المتنامي لمجالات اجتماعية معينة: في حين أن الدولة ساعدت في ضمان درجة معينة من الاستقرار في الحكم الذاتي لهذه القوى، فإن القوى

تبدو الأنظمة الاقتصادية التي تتحكم فيها الآن قادرة على الحد من درجة الاستقلال الذاتي للثقافة والعلوم، وما إلى ذلك، وإنتاج أشكال من "الثورة المحافظة" أو "الترميم الرمزي."

صحيح أن أحد العناصر الرئيسية للديناميكية الاجتماعية العالمية هي العملية التي يتم من خلالها الاقتصاد الاقتصادي، وفق تعبير يستخدمه في سياق الأنثروبولوجيا الاقتصادية، أي الاقتصاد يسيطر عليها المعايير الوحيدة للكفاءة وخفض التكاليف، ويظهر تدريجياً على حساب الاقتصاد الرمزي، الذي يتسم على وجه الخصوص بالإكرامية والهبة، ولكن أيضًا بغياب الحساب العقلاني المنفصل عن التبادلات الرمزية.

من المحتمل أن تكون هذه العملية لبورديو في قلب صعوبة العلوم الاجتماعية الحديثة: مع الاقتصاد، تميل هذه إلى اتخاذ سلوكيات واضحة وطبيعية تنتج عن ظروف اجتماعية تاريخية محددة للغاية .

وهكذا يرى بورديو في حقول جزر الإنتاج الثقافي المتمتعة بالحكم الذاتي مقاومة رمزية للهيمنة العامة للمعايير القادمة من حقل معين، المجال الاقتصادي.

8. المجتمع فضاء اجتماعي صراعي :

ما المجتمع أو العالم الاجتماعي؟ – ماهي مكوناته؟ – ماهي طبيعته؟ – وماهي بنيته؟هذه التساؤلات حاول "بيير بورديو" الإجابة عنها في كل أعماله الأكاديمية التي امتدت على فترة تتجاوز أربعين سنة، وللقيام بذلك بنى نظرية سوسيولوجية أصيلة اعترف الكثير من علماء الاجتماع المعاصرين بأنها النظرية التي سيطرت على الحقل السوسيولوجي لفترة ما بعد الحربالعالمية الثانية.

فعالم الاجتماع الفرنسي المشهور "بيير بورديو" قد قدم نظرة جديدة للمجتمع أو كما يطلق عليه "العالم الاجتماعي"اختلفت عن رؤى سابقيه من علماء الاجتماع أمثال: "كارل ماركس" "1818-1883""إميل دوركايم 1858-1917" "بارسونزتالكوت"، "1902-1979"(أحجيج، 2017، صفحة 342).

ويحيل مفهوم الحقل كذلك عنده إلى "عالم اجتماعي كامل social""unmonde Tout،أي بكل المواصفات والتقاطيع التي يشير إليها العالم الاجتماعي، يتعلق الأمر بسلطة ورأسمال وعلاقات قوة وصراعات من أجل المحافظة أو من أجل تغيير علاقات القوة، كما في باقي المجالات الاجتماعية.

وقد ساعد المنهج البنيوي لبيير بورديو في نهاية المطاف على النظر إلى الصراعات داخل الحقول الاجتماعية لا بوصفها احتدام بين الطبقات من أجل السيطرة على وسائل الإنتاج المادية وعلى ملكية رأس المال الاقتصادي كما هو سائد في الرؤية الماركسية، بل نظر إليها كنزاع حول المال ورأس المال الثقافي بوصفه رأس المال الرمزي(Bourdieu, Espace social et genèse des "classes", 1984, p. 02)، ومن أجل الوجاهة والسلطة والتمايز الاجتماعي، ويتميز الحقل حسب بيير بورديو بنوعين من الصراع، الأول داخلي بين عملائه في تنافسهم على الشرعية وعلى امتلاك الحق في تمثيل الحقل والتعبير عنه واحتكار المنافع التي يدرها، وأيضا التنافس بين قدماء الحقل (الآباء المؤسسون)، والوافدون الجدد، والثاني هو صراع بين الحقل وباقي الحقول المنافسة

داخل الفضاء الاجتماعي.وهكذا يمكننا القول أن الحقل الاجتماعي عبارة عن مواقع، وعلاقات أشخاص، ومؤسسات، وتوزيع مختلف للسلطة أو لرأس المال، لعبة معينة، هيمنة، خضوع، رهانات، صراعات، منافسة، استراتيجيات، ميزان قوى رمزي.

9. المنهجية السوسيولوجية والفضاء العام:

يتبنى بيير بورديو، في أبحاثه السوسيولوجية، المقاربة الماركسية ذات الأساس الجدلي، على أساس أن التنافس والصراع وظيفتان أساسيتان للمجتمع. ومن ثم، يرتبط بورديو بالمقاربة الصراعية التي تستند إلى التحليلات الماركسية. لكن هذا الصراع والتنافس يتشكلان، قبل كل شيء، في مختلف الحقول والفضاءات المجتمعية الفرعية الأصلية، قبل أن يتحددا على صعيد المجتمع الماكروسوسيولوجي. ومن ثم، تتميز هذه الحقول بوجود تفاوت طبقي واجتماعي خاص، ووجود مسيطرين ومسيطرين عليهم. وبتعبير آخر، إذا كان المجتمع – حسب المقاربة الماركسية– قائما على صراع الطبقات الاجتماعية، فإن هذا الصراع– حسب بيير بورديو– يتشكل أولا ضمن حقول وفضاءات مجتمعية فرعية، قبل أن يتحول إلى ظاهرة اجتماعية عامة.

هذا، وقد بلور بيير بورديو نظرية الفعل التي ترتبط بمفهوم الهابيتوس. بمعنى أن الفاعلين المجتمعيين يطورون مجموعة من الإستراتيجيات التي يتمثلونها عن طريق التنشئة الاجتماعية، بطريقة غير واعية، بغية التكيف مع ضرورات العالم الاجتماعي.أي: إن الهابيتوس عبارة عن مجموعة من المواقف والموارد والمكتسبات والقيم والعادات والأعراف والخبرات والتجارب والمعايير التي يكون الفرد قد استضمرها عن طريق التنشئة الاجتماعية، بطريقة لاشعورية، بغية استدماجها أثناء مواجهة الوضعيات الصعبة والمعقدة في العالم الاجتماعي. وبهذا، يكون الهابيتوس وسيطا بين الفعل والمجتمع، أو بمثابة الأنا الأعلى الذي يتوسط الذات أو الأنا والمجتمع بالمفهوم السيكولوجي(بورديو، 1986، صفحة 18).

علاوة على ذلك، فالهابيتوس هو بمثابة الأفعال غير الواعية التي يصدر عنها الأفراد المجتمعيون أثناء تكيفهم وتأقلمهم مع المجتمع مماثلة واستيعابا، كما يقول جان بياجيه (Jean Piaget) في منظوره التكويني. وبهذا، يوحد الهابيتوس بين الفرد والمجتمع، بين الفعل والبنية، والذات والموضوع، والضرورة والحرية...

وتأسيسا على ما سبق، يتبنى بيير بورديو البنيوية التكوينية

«Structuralismeconstructiviste»ouconstructivismestructuraliste(Bourdieu, Choses dites, 1987)،على المستوى السوسيولوجي.بمعنى أنه يوفق بين الفعل والبنية، أو يجمع بين دور الفاعل المجتمعي وبنية المجتمع. فكل واحد من هذين العنصرين يؤثر في الآخر. بمعنى أن هناك تفاعلا وتماثلا بين الفاعل والمجتمع، أو تفاعلا بين الفهم والتفسير، بين الضرورة والحرية. وبهذا، يكون قد وفق بين التصور الدوركايمي التفسيري، والتصور الإنساني الذاتي عند ماكس فيبر، أي: لا ينكر بيير بورديو أهمية المجتمع في التأثير في الأفراد سلبا

أو إيجابا؛ لأن ثمة ضرورة أو حتمية مجتمعية تمارس تأثيرها على الفاعلين المجتمعيين. وفي الوقت نفسه، يثبت أن للإنسان دورا مهما في تغيير المجتمع وخلقه وإبداعه. وبهذا، يكون بورديو قد تأثر بالبنيوية التي تعتبر الإنسان نتاج بنيات وقواعد حتمية. وفي الوقت نفسه، تأثر بماكس فيبر الذي يعتبر الإنسان فاعلا وبانيا للمجتمع. وبذلك، يتجاوز بورديو ثنائية الذاتية والموضوعية، وثنائية الميكرو والماكرو، وثنائية الفعل والبنية، مع تحكيم الهابيتوس في كل هذه الثنائيات باعتباره عنصرا وسيطا وجامعا وموحدا.

10 . المفاهيم السوسيولوجية والفضاء العام:

وظف بيير بورديو مجموعة من المفاهيم السوسيولوجية في أبحاثه ودراساته وكتبه، وقد كان لها تأثير في كثير من النظريات والمدارس السوسيولوجية المعاصرة، على الرغم من تعقيدها وغموضها (Bourdieu, Question de sociologie,,., 1984)، ومن بين هذه المفاهيم نذكر ما يلي:

1.10إعادة الإنتاج:

لقد تناول بيير بورديو مفهوم إعادة الإنتاج بالتحليل والدراسة والتقويم، حينما ركز اهتمامه السوسيولوجي على النظام التربوي الفرنسي مع صديقه جان كلود باسرون(Jean-Claude Passeron)، في كتابهما (إعادة الإنتاج)، منذ سنوات الستين من القرن الماضي، إذ كانت هذه الفترة مرحلة التطور والازدهار العلمي والمنهجي لسوسيولوجيا التربية.

ويمكن القول بأن بيير بورديو وكلود باسرون هما اللذان أعطيا ولادة ثانية لسوسيولوجية التربية، وقد انطلقا من فرضية سوسيولوجية أساسية، تتمثل في كون المتعلمين لا يملكون الحظوظ نفسها في تحقيق النجاح المدرسي. ويرجع هذا الاختلاف إلى التراتبية الاجتماعية، والتفاوت الطبقي، ووجود فوارق فردية داخل الفصل الدراسي نفسه. ومن ثم، فقد قادت الأبحاث السوسيولوجية والإحصائية بورديوباسرون إلى استنتاج أساسي هو: أن الثقافة التي يتلقاها المتعلم في المدرسة الفرنسية الرأسمالية ليست ثقافة موضوعية أو نزيهة ومحايدة، بل هي ثقافة مؤدلجة تعبر عن ثقافة الهيمنة وثقافة الطبقة الحاكمة. ومن ثم، فليست التنشئة الاجتماعية تحريرا للمتعلم، بل إدماجا له في المجتمع في إطار ثقافة التوافق والتطبع والانضباط المجتمعي. وبالتالي، تعيد لنا المدرسة إنتاج الطبقات الاجتماعية نفسها عن طريق الاصطفاء والانتقاء والانتخاب. ومن ثم، فهي مدرسة اللامساواة الاجتماعية بامتياز (Bourdieu & Passeron, Les héritiers: les étudiants et la culture, 1964, p. 183).

ويعني هذا كله أن سوسيولوجيا التربية النقدية قد عرفت منحى مهما في سنوات الستين إلى غاية سنوات السبعين من القرن العشرين، فقد اتخذت بعدا علميا أكثر مما هو سياسي، بعد أن توسعت الهوة بين النظرية والتطبيق، أو بين المؤسسة التربوية والمجتمع، ولاسيما بعد تحول المدرسة الرأسمالية إلى فضاء للمنافسة والتطاحن والصراعات الاجتماعية والطبقية، أو تحولها إلى مؤسسة هيرارشية أو تراتبية طبقية، تنعدم فيها العدالة الاجتماعية الحقيقية، وتغيب فيها المساواة على مستوى الفرص والحظوظ، حيث يكون الفشل والإخفاق مآل أبناء الطبقات الشعبية. في حين، يكون

النجاح حليف أبناء الطبقات الغنية وأبناء الطبقة الحاكمة. أي: أصبحت مدرسة فارقية بامتياز، أو مدرسة للانتقاء والاصطفاء الطبقي والتميز الاجتماعي.

وللتوضيح أكثر، ينطلق بورديووباسرون من فكرة أساسية هي" أن المدرسة تعمل وفق تقسيم المجتمع إلى طبقات. وهي بذلك تكرس إعادة الإنتاج والمحافظة على الوضع القائم الذي أنتجها. وتبعا لهذا، فإن الأطفال، ومنذ البداية – قبل ولوجهم المدرسة– غير متساوين أمام المدرسة والثقافة. أي: غير متساوين في الرأسمال الثقافي (أي امتلاك المهارات اللغوية الملائمة التي تسهل عملية التواصل التربوي). ولكي تحافظ المدرسة على وظيفتها – إعادة الإنتاج – فهي تفرض معيارا ثقافيا ولغويا معينا، وهو أقرب إلى اللغة والثقافة الساريتين في الأسر البورجوازية منه في الأسر والطبقات الشعبية. إن هذا الإيتوس .(Ethos)، أي: النظام القيمي المستبطن بعمق، والذي هو لصالح الطبقات المسيطرة يؤدي إلى خلق نوع من الاستعداد أو الأبيتوس لدى الأفراد عن طريق العمل التربوي الذي يسعى أساسا لتشريب التعسف الثقافي المفروض من قبل الجماعة المسيطرة.

وهذا يعني أن طفل الفئة البورجوازية يعيش استمرارية وتكاملا بين ثقافة فئته وثقافة مدرسته، مما يسهل عليه عملية التوافق، إن لم يكن مسبقا متوافقا. ومن ثمة، يصبح وريثا للنظام المدرسي.

أما طفل الطبقة الدنيا، فهو يعيش قطيعة بين ثقافة فئته وثقافة مدرسته. مما يجعل هذه الأخيرة غريبة وبعيدة عنه. ولكي يتوافق دراسيا معها، عليه أن يتخلص من رواسب ثقافته، ويتعلم طرائق جديدة في التفكير واللغة والسلوك. أي: أن يمر، حسب تعبير بيرنو(Perrnoud) ، أولا بعملية الانحلال من الثقافة، ثم ثانيا بعملية المثاقفة.

وعلى العموم، فإن أطروحة بورديووباسرون توضح أن الأهداف الضمنية للمدرسة تخدم التكامل بينها وبين الطبقة المسيطرة، مما يجعل أبناء هذه الأخيرة أطفالا ناجحين دراسيا. في حين، إن انعدام التكامل بين المدرسة والطبقة الدنيا، تبعا للأهداف نفسها، يجعل الفشل الدراسي يحصد ضحاياه ضمن أبنائها(المير، قاسمي، و أخرون ، 1995، الصفحات 15-16).

ويعني هذا أن السؤال الذي ركزت عليه سوسيولوجيا التربية، في سنوات الستين، هو سؤال اللامساواة المدرسية التي تعكس اللامساواة الطبقية والاجتماعية، وتعكس مدى اختلاف أبناء الطبقات العمالية عن أبناء الطبقات المحظوظة، واختلاف المستوى التعليمي الطويل الذي يرتاده أبناء الطبقات المحظوظة، والتعليم القصير الذي يكون من حظ أبناء الطبقات الدنيا، ولاسيما أبناء الطبقات العمالية وأبناء المهاجرين على حد سواء.لذا، يغلب النقد الماركسي الجديد على هذه السوسيولوجيا الستينية. والدليل على ذلك الثورة العارمة التي اشتعل أوارها في سنة 1968م؛ بسبب المدرسة الرأسمالية التي كانت – فعلا– مدرسة طبقية بامتياز. ومن ثم، فقد كان الحل يتمثل في دمقرطة التعليم، وتحقيق المساواة الاجتماعية الشاملة، والحد من الفوارق الطبقية والمجتمعية، ومنع ممارسة العنف الرمزي ضد المتعلمين، وخلق مدرسة موحدة تحقق النجاح لجميع المتعلمين بدون تمييز أو انتقاء أو اصطفاء.

وعليه، يمكن اعتبار دراسات بورديو نقدا للدراسات الكلاسيكية حول سوسيولوجيا التربية، إذ اعتمدت على المقاربة الماركسية الجديدة في دراسة المدرسة الفرنسية بصفة خاصة، والمدرسة الرأسمالية بصفة عامة، على أساس أن المدرسة فضاء للتنافس والهيمنة والصراع الطبقي والمجتمعي.

ولم تقتصر نظرية إعادة الإنتاج عند بيير بورديو على ما هو تربوي فقط، بل اهتم كذلك بدراسة إعادة إنتاج الهيمنة الذكورية في المجتمع القبائلي التقليدي بالجزائر، في كتابه القيم "الهيمنة الذكورية" (Bourdieu, La Domination masculine, 1998, p. 134).

2.10 العنف الرمزي:

من المعلوم أن العنف نوعان: عنف فيزيائي يكون بإلحاق الضرر بالآخرين جسديا وماديا وعضويا، وعنف رمزي مهذب يكون بواسطة اللغة، والهيمنة، والإيديولوجيات السائدة، والأفكار المتداولة. ويكون أيضا عن طريق السب، والقذف، والشتم، والدين، والإعلام، والعنف الذهني. لذا، يعرفه بيير بورديو بقوله:" العنف الرمزي هو عبارة عن عنف لطيف وعذب، وغير محسوس، وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم، وهو عنف يمارس عبر الطرائق والوسائل الرمزية الخالصة، أي: "عبر التواصل، وتلقين المعرفة، وعلى وجه الخصوص عبر عملية التعرف والاعتراف، أو على الحدود القصوى للمشاعر والحميميات" (Bourdieu, La Domination masculine, 1998, p. 88).

وعليه، يرتبط العنف الرمزي بالسلطة والهيمنة والحقل المجتمعي. بمعنى أن الدولة تمارس، عبر مجموعة من المؤسسات الرسمية والشرعية (الإعلام، والدين، والتربية، والفن، والصحافة...)، عنفا رمزيا ضد الأفراد والجماعات. ويعني هذا أن المجتمع الحاكم والمسيطر يمارس عنفا رمزيا (violence symbolique) ضد الأفراد. وهذا العنف أكثر خطورة من العنف المادي الجسدي. وفي هذا، يقول بيير بورديو:" يمكن أن يحقق العنف الرمزي نتائج أحسن قياسا إلى ما يحققه العنف السياسي والبوليسي....، إن أحد أكبر مظاهر النقص في الماركسية هو أنها لم تفرد مكانا لمثل هذه الأشكال اللطيفة من العنف التي هي فاعلة ومؤثرة حتى في المجال الاقتصادي...والعنف الرمزي هو ذلك الشكل من العنف الذي يمارس على فاعل اجتماعي ما بموافقته وتواطئه. ولهذه المسألة نتائج كبيرة على النقاش الفكري الدائر حول ما إذا كانت السلطة تنبثق من تحت، وحول ما إذا كان الشخص الخاضع للسيطرة يرغب في هذه الوضعية المفروضة عليه. وبصيغة أخرى، فإن الفاعلين الاجتماعيين يعرفون الإكراهات المسلطة عليهم، وهم- حتى في الحالات التي يكونون فيها خاضعين لحتميات- يساهمون في إنتاج المفعول الذي يمارس عليهم نوعا من التحديد والإكراه. ولعل مفعول الهيمنة إنما ينبثق من هذه التفاعلات والتوازنات بين المحددات الحتمية وكيفيات إدراكها.

هناك قدر من الإنكار في التعرف على العنف الذي يمارس على المرء مع عدم الاعتراف به كعنف...فانطلاقا من كوننا نولد في عالم اجتماعي، فإننا نتقبل عددا من البديهيات والمسلمات التي تفرض نفسها علينا بتلقائية وسهولة،

ولا تكاد تتطلب تلقينا. ولذلك، فإن تحليل كيفيات تقبلنا التلقائي للآراء والمعتقدات المتداولة في عالمنا الاجتماعي، هو الأساس الحقيقي لنظرية واقعية حول السيطرة وحول السياسة.وذلك بسبب التوافق المباشر بين البنيات الموضوعية والبنياتالذهنية."إن من بين كل أشكال الإقناع الصامت والسري هي تلك التي تتم بكل بساطة بفعل النظام العادي للأشياء" (Bourdieu & Wacquant, Réponses: pour une anthropologie réflexive, 1992, pp. 141-143).

ويلاحظ أن العنف الرمزي أكثر خطورة من باقي أنواع العنف المادي والسلطوي؛ لأنه عنف عاد وبسيط ولاشعوري، ولا يعترف به – مجتمعيا– على أنه عنف، بل تعود عليه الناس، وقبلوا به ما داموا خاضعين لمجموعة من الحتميات والجبريات المجتمعية التي تتحكم فيهم، ويعملون على تكريسها في واقع حياتهم. ومن ثم، لا نرى لدى الناس أي رفض أو مقاومة لهذا العنف المعنوي والرمزي، بل يعتبرونه فعلا عاديا، على الرغم من خطورته وآثاره الخطيرة نفسيا ومجتمعيا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا. وأكثر من هذا لم يشر كارل ماركس إلى هذا النوع من العنف، بل اكتفى بالعنف الطبقي، على الرغم من وجود هذا العنف على الصعيد الاقتصادي.

أضف إلى ذلك، فقد ركز بيير بورديو على التلفزيون باعتباره أداة إعلامية خطيرة تمارس العنف ضد المواطنين، إذ تقدم لهم ما تشتهيه السلطة المهيمنة التي تستغل وسائل الإعلام لتحقيق مصالحها وأهدافها وأرباحها. ومن ثم، يتلاعب التلفزيون بعقول الناس، وينشر بينهم إيديولوجية الدولة المهيمنة، وأفكار الطبقة الحاكمة. وهذا يهدد – فعلا– الثقافة والفن والديمقراطية الحقيقية (Bourdieu, Sur la télévision suivi de L'emprise du journalisme, 1996, p. 95).وينطبق هذا الحكم نفسه على الصحافة التي صارت من الوسائل الخطيرة التي تشارك الفئات الحاكمة في ممارسة العنف الرمزي ضد الآخرين.

وفي الأخير، ينتج العنف الرمزي عن اختلاف أنماط الرأسمال لدى الفاعلين المجتمعيين باختلاف مواقعهم الاجتماعية، ووجود طبقات اجتماعية مسيطرة ومسيطرة عليها، واختلاف مصالح الأفراد والجماعات من حقل إلى آخر، ووجود تفاوت اجتماعي وطبقي بين الجماعات.

3.10 مفهوم التميز:

ألف بيير بورديو سنة 1979 كتابا تحت عنوان (التميز: النقد الاجتماعي للحكم) .(La Distinction. Critique sociale du jugement)، حيث يقدم منظورا سوسيولوجيا للأذواق وأساليب الحياة. ويعد هذا الكتاب من أفضل عشرة كتب علم الاجتماع في القرن العشرين، حسب تصنيف الجمعية العالمية للسوسيولوجيا. ويركز الكتاب على الأفراد المجتمعيين الذين يتصارعون ضمن حقول وفضاءات مجتمعية مختلفة، حول مواقع السيطرة والحظوة والتميز الاجتماعي والطبقي، من خلال ما يملكونه من رأسمال اقتصادي وثقافي. إذ تبدأ الاختلافات من شكلها الضعيف نحو الاختلافات الجذرية، فالاختلافات الطبقية. ومن ثم، يعبر الكتاب عن الصراع بين الأفراد داخل بنية المجتمع من أجل الاختلاف والتميز. ويعني هذا لكي يكون الإنسان معروفا في حقل

مجتمعي ما، فلابد أن يتميز عن الآخرين إما بالاختلاف عنهم، وإما بالانزياح عنهم ثقافيا واقتصاديا ولغويا ورمزيا واجتماعيا. بمعنى أن هناك ثنائية التوافق والتميز. ومن ثم، فالاهتمام بالموضة، بشكل هستيري، دليل على الرغبة في التميز ثقافيا واجتماعيا ورمزيا، ودليل على فرادة الأسلوب الشخصي .(Bourdieu, La Distinction. Critique sociale du jugement, 1979, p. 670).

وقد أثبت بورديو أن أنماط الحياة وأساليبها تختلف حسب مواقع الناس الاجتماعية. أي: إن أذواق الناس تعكس طبيعة وضعيتهم المجتمعية. ومن ثم، فالهابيتوس وسيط بين تلك الممارسات والمواقع المجتمعية.

وللتمثيل، فقد درس بورديو طبيعة التغذية والملابس عند العمال والأغنياء. فالعمال يهتمون بكل ما هو ضروري وأساسي في حياتهم؛ بسبب حاجتهم إلى الرأسمال الاقتصادي. وبالتالي، فملابسهم عمالية خشنة، وتغذيتهم ذات طابع مضموني، تتسم بالكم من جهة. وتكون دسمة من جهة أخرى. كما أن ذوقهم الفني والجمالي لا يخرج عن الطابع الواقعي الملتزم.

في حين، يركز الأغنياء على الشكل، ويتأنقون في ملابسهم وتغذيتهم، بالتركيز الواعي على النوع الكيفي، ولا يهمهم الكم في ذلك. ويهتمون كذلك – فنيا وجماليا– بماهو تجريدي وسيميائي وتخييلي.

ويعني هذا أن الأذواق وأساليب الحياة تختلف من طبقة اجتماعية إلى أخرى، حسب طبيعة الرأسمال الموروث، وحسب الحقل الذي تنتمي إليه كل فئة اجتماعية.

4.10 مفهوم الهابيتوس:

يتخذ مصطلح الهابتوس أو الآبيتوس (habitus) دلالات فلسفية وسوسيولوجية مختلفة. ويعني طريقة في الوجود، أو المظهر العام، أو الزي، أو حالة ذهنية أو عقلية. ويعني هذا أن الهابيتوس ثقافة، وحضارة، ونمط من أنماط الوجود والعيش والحضور في العالم.

وقد استعمل مصطلح الهابيتوس أو الآبيتوس (Habitus) قديما عند الفلاسفة اليونانيين بمفهوم(hexis) ، وخاصة عند أفلاطون وسقراط، وأرسطو؛ ومن بعدهم هيغل، وهوسرل، وماكس فيبر، وإميل دوركايم... بيد أن مصطلح (hexis) قد استبدل، إبان العصور الوسطى، بمصطلح الهابيتوس (habitus)للدلالة على الحالة أو الوضعية أو طريقة العيش.

هذا، وقد أخذ بيير بورديو مصطلح الهابيتوس من المفكر السكولائيطوماس أكين (Thomas d'Aquin) الذي استعمل مصطلح هابيتوس لترجمة المفهوم الأرسطي (الهيكسيس)، وقد استلهمه أيضا من إرفينبانوفسكي (Erwin Panofsky)الذي تحدث عن جماليات الاتجاه المدرسي في العصور الوسطى. ومن ثم، فالهابيتوس هو التطبيع الاجتماعي في مجتمع تقليدي، أو هو بمثابة نظام من الإيتوس القيمي المتعالي، يستطيع الفرد عبره أن يتحرك

في العالم المجتمعي، بغية فهمه بطريقته الخاصة، أو بطريقة مشتركة مع الطبقات الاجتماعية الأخرى التي يعيش معها.

وقد ركز بورديو على بنية الهابيتوس الداخلية، ومكوناته، ووظيفته. فمن حيث البنية، يتكون الهابيتوس من مجموعة من الميول، والتصورات، والمعتقدات، والإدراكات، ورؤى العالم، ومبادئ التصنيف. ومن ثم، يساعد الهابيتوس الذي يكتسبه الفرد في الأسرة والمدرسة على تمثل المجتمع واستيعابه بشكل جيد.

هذا، وتقوم التجمعات الأولية (الطفولة والمراهقة)، والتجمعات الثانوية (سن الرشد، بدور هام في بناء الهابيتوس. ويستطيع الأفراد عبر هذا الرأسمال الاجتماعي المحصل عليه، بفعل التنشئة الاجتماعية، أن يخلقوا هابيتوس الطبقة (un habitus de classe)؛ بسبب تشاركهم في مجموعة من الأفعال والتصرفات والسلوكيات المشتركة. وبذلك، يكون الهابيتوس هو مصدر أفعال الأفراد المجتمعيين، وهو الذي يتحكم في توجهاتهم القيمية والأخلاقية والمعيارية. أي: إنه بمثابة الأنا الأعلى السيكولوجي لتجاربهم الحاضرة في العالم. ومن هنا، فالهابيتوس هو بماثة قالب معياري وأخلاقي للشخصية الفردية، بل هو بمثابة ضرورة أو حتمية تتحكم في أفعال الإنسان، فيما يخص هوايته، وثقافته، وتربيته، وعمله، وتغذيته، واستهلاكه...

ويبدو أن مصطلح الهابيتوس مصطلح غامض ومعقد، إذ يقصد به بيير بورديو "بعض الخصال المترسخة في داخل عقول البشر وأجسادهم"(سكوت، 2013، صفحة 42). ومن هنا، فالهابيتوس بمثابة مجموعة من الاستعدادات أو الملكات الدائمة التي يكون الفرد قد اكتسبها أو تطبع عليها عبر التنشئة الاجتماعية. وبالتالي، فالاستعدادات هي مجموعة من الميول والاتجاهات والمواقف المتعلقة بالتفكير والإدراك والإحساس، فيستبطنها الأفراد حسب ظروفهم الموضوعية لوجودهم، وتوظف هذه الاستعدادات بطريقة لاشعورية. وتتمثل هذه الاستعدادات المستضمرة في القيم والتصرفات والسلوكيات والمكتسبات المعرفية والذهنية. ويعني هذا أن الهابيتوس عبارة عن مجموعة من البنى المعرفية والإدراكية المستدمجة، ويتم إنتاجها في بيئة اجتماعية محددة. ويعاد إنتاج هذه البيئة من خلال قدرة الهابيتوس على التوليد.

وعليه، لا يقتصر الهابيتوس على توجهات الأفراد وتصوراتهم وملكاتهم الشخصية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الاستعدادات الجمعية، مثل: أنماط التفكير والإدراك والتقدير والممارسة. ومن ثم، يؤثر الهابيتوس في الأفعال اليومية، كالتذوق، والملابس، والأثاث، والفن، وعادات الاستهلاك، وأوقات الفراغ... ومن هنا، فالهابيتوس نتاج ظروفه الموضوعية ذاتها(عبد العظيم، 2011).

وعليه، فالهابيتوس بمثابة مجموعة متنوعة "من التوجهات المستمرة والمهارات وأشكال من المعرفة الفنية التي يلتقطها الناس ببساطة من معاشرة أناس من ثقافات وثقافات فرعية معينة.ويمكن أن تتراوح هذه من أشكال السلوك الجسدي، والحديث، والإيماءة، والملبس والأخلاق الاجتماعية، من خلال مجالات المهارات المحركة والعملية إلى أنواع معينة من المعرفة والذاكرة المتراكمة(سكوت، 2013، صفحة 42).

إذاً، يكتسب الفرد أو الفاعل الذاتي مجموعة من الموارد التي تجعله قادرا على إدماجها، حينما يتفاعل مع بنية المجتمع، بواسطة عملية الاستيعاب الخارجي. أي: إن ثمة تجانسا وتطابقا وتماثلا بين البنية الذاتية والبنية المجتمعية اللتين يتحكم فيهما الهابيتوس. وفي هذا، يقول جون سكوت:" أكد بورديو التطابق والتجانس القريب بين التنظيم الاجتماعي وديناميكيات العالم الخارجي والترتيبات المجسمة الداخلية للأفراد. ويرى أن هذا يأتي عن طريق ما يسميه بالاستيعاب الخارجي. ولقد أخذت أو استوعبت العوامل البشرية بالتدريج على مدار السنين أنواع الأمور التي تحتاج إلى معرفتها عن بيئتها الخارجية الاجتماعية والمادية حتى يمكنها المشاركة بنجاح في مجالات معينة من ممارساتها الاجتماعية.

تترسخ هذه المعرفة الفنية حتى تصبح في معظمها طبيعة ثانية.إنها توفر مجموعة من الموارد الكامنة في الشكل الذي يسميه بورديو بالمخططات التوليدية التي يمكن الاعتماد عليها كلما اقتضت الظروف.

ومن هنا، ليس الهابيتوس مجرد تمثل أو إدماج عاد وبسيط، ينبني على ممارسات تقليدية أساسها التكرار والتنميط والتطبيق الآلي، بل هو إدماج إبداعي يتجاوز المماثلة إلى الاستيعاب ومواجهة وضعيات جديدة. كما أن الهابيتوس هو بمثابة بنيات خاضعة لعامل التكيف والتأقلم مع العالم المجتمعي الموضوعي. وفي الوقت نفسه، هو بمثابة أفعال محركة لبنية المجتمع، أو بمثابة ممارسات جديدة تهدف إلى حل مشكلات الواقع الموضوعي، وتجاوز حتمياته الجبرية. أي: يتضمن الهابيتوس التطبع بالمجتمع من جهة، والتحكم فيه بالفعل الفردي الإبداعي من جهة أخرى.

ويعني هذا أن الفرد يستطيع أن يولد مجموعة من الخطط والإستراتيجيات، حينما يواجه وضعيات مجتمعية جديدة، مثل الذي يستعمل لغته الأم، فإنه يستطيع من خلال قواعد محددة أن يولد جملا لامتناهية العدد. ويعني هذا أن الهابيتوس هو مولد إبداعي وتطبيقي، أي: إن الفرد يستعمل كل إستراتيجياته وموارده وخططه، حينما يجابه وضعيات مجتمعية جديدة، إما بطريقة واعية، وإما بطريقة غير واعية. ومن ثم، لايقف مكتوف الأيدي، بل يجتهد ويتصرف وفق القواعد والمعايير التي استضمرها سابقا، عن طريق التنشئة الاجتماعية المستمرة أو التي انتقلت إليه من الآخرين

وإذا كان إميل دوركايم (E.Durkheim) يدرس الظواهر المجتمعية على أنها أشياء وموضوعات، من خلال التركيز على المجتمع، فإن ماكس فيبر يدرس الذوات الفاعلة التي تؤثر في المجتمع من خلال المعاني والمقاصد التي ترتبط بها أفعالهم السلوكية. ويعني هذا أن ثمة ثنائية الذاتية والموضوعية. بينما يرفض بيير بورديو هذه الثنائية، ويعتبرها حالة مصطنعة ومشوهة. لذا، يحاول الجمع بينهما بتوليد مجموعة من المفاهيم السوسيولوجية، منها: مصطلح الهابيتوس. ويعني هذا المفهوم الدمج بين البنى المجتمعية الموضوعية والأدوار الفردية الذاتية التي تحمل معنى أو دلالة أو مقصدية ما. ومن ثم، فالهابيتوس هو مجموعة من الاستعدادات وصور السلوك التي يتمثلها الأفراد أثناء التفاعل مع المجتمع. ويعكس المفهوم مختلف الأوضاع التي يشغلها الناس في مجتمعهم.

ومن ثم، فالهابيتوس بمثابة وسيط بين البنية المجتمعية والممارسة الفردية. وأكثر من هذا، فالهابيتوس مجموعة من الاستعدادات الجسدية والذهنية الناتجة عن التنشئة الاجتماعية للفرد التي تجعل منه فاعلا اجتماعيا داخل حقل أو

مجال اجتماعي معين. بمعنى أن الهابيتوس يتجاوز التعارض الموجود بين الوعي واللاوعي، فيوحد بين الفعل المجتمعي والبنية المجتمعية، ويعبر عن انفتاح الذات على المجتمع الخارجي. وفي الوقت نفسه، يحيل على خضوع الذات للجبرية أو المؤثرات المجتمعية الخارجية.

فيما مضى، لم يكن الهابيتوس سوى تأقلم وتكيف عاديين وبسيطين مع الأوضاع، بتوظيف المكتسبات السابقة بطريقة آلية، بل يمكن – اليوم– أن يتحقق الهابيتوس بطريقة إبداعية خلاقة، بإيجاد الحلول الناجعة لمختلف الوضعيات المعقدة والصعبة والمركبة. ويعني هذا أن الهابيتوس يسمح للفرد بتوليد مجموعة من الممارسات الجديدة التي تتلاءم مع العالم المجتمعي الذي يعيش فيه. ومن هنا، فالهابيتوس بمثابة محرك قوي وديناميي، يتخذ طابعا تطبيقيا.

أضف إلى ذلك، فالهابيتوس نتاج البنيات الجبرية والأفعال الحرة على حد سواء. ومن هنا، ليس الهابيتوس تطبعا اجتماعيا عاديا، بل هو محرك لممارسات مجتمعية جديدة لامتناهية العدد. وتشكل هذه الأحكام نسقا أو نظاما. وبالتالي، فالهابيتوس مصدر وحدة الأفكار والأفعال لدى الفرد. ولا يقتصر الهابيتوس على ما هو فردي، بل يتعدى ذلك إلى الجماعات المجتمعية التي تعيش التطبعات نفسها. ويعني هذا وجود أنماط مختلفة من التفكير والإحساس والعمل، ضمن طبقة اجتماعية واحدة ومتجانسة. ومن خصائص الهابيتوس أيضا ديمومة أحكامه، وقابلية نقلها من فرد إلى آخر، ومن جيل إلى آخر، ومن جماعة إلى أخرى.

وللتمثيل بحقل العمل، يرتبط هابيتوس العمال بالمفيد والضروري. ومن ثم، فلباسهم وظيفي، ويهتمون بالفن الملتزم الواقعي. ويكون أكلهم دسما ومشبعا. أي: لهم نمط حياة مشتركة تشكل ما يسمى بالهابيتوس العمالي. ويتميز هذا الهابيتوس عن باقي الهابيتوسات الأخرى مضمونا وشكلا. في حين، يقوم هابيتوس البورجوازي على التجريد، وحب الفن الجميل، والبحث عن الجديد من الموضة.

5.10 مفهوم الحقل:

يرى بيير بورديو أن العالم المجتمعي، في مجتمعاتنا المعاصرة، مقسم إلى مجموعة من الحقول(Champs)(Bourdieu, Question de sociologie,,., 1984)، بمعنى أن تقسيم العمل في مجتمعنا أوجد مجموعة من الحقول والفضاءات المجتمعية الفرعية، مثل: الحقل الفني، والحقل السياسي، والحقل الاقتصادي، والحقل الثقافي، والحقل التربوي، والحقل الرياضي، والحقل الديني...

ويتميز كل حقل فضائي باستقلالية نسبية عن المجتمع ككل. وتتميز هذه الفضاءات بالتراتبية الطبقية والاجتماعية، وباشتداد الصراع الديناميي والتنافس الشديد بين الأفراد حول الامتيازات المادية والمعنوية، والصراع حول مواقع السلطة والهيمنة، حسب طبيعة الرأسمال الذي يملكه كل فرد داخل المجتمع. ويكون الصراع في كل حقل حول مصالح مشتركة أو مصالح خاصة بكل فرد على حدة. ويخضع الحقل لمجموعة من القواعد، مثل: الصراع المحتدم بين الجيل القديم والجيل الجديد. ومن ثم، يخضع الحقل لمنطق التنافس والصراع والهيمنة والعيش المشترك.

6.10 مفهوم الرأسمال:

إذا كان كارل ماركس يرى أن أساس الصراع بين الطبقات الاجتماعية، ولاسيما بين البورجوازية والبروليتارية قوامه الرأسمال الاقتصادي، فبيير بورديو، على غرار ماكس فيبر، يرى أن الصراع لا يتخذ دائما طابعا اقتصاديا، فقد يكون صراعا ثقافيا. ومن ثم، فثمة رأسمالان مهمان في تحريك مجتمعاتنا المعاصرة هما: الرأسمال الثقافي والرأسمال الاقتصادي.

وبناء على ما سبق، فقد حدد بيير بورديو أربعة أنماط مختلفة من الرأسمال الذي يملكه الفاعل المجتمعي، وهي:

•الرأسمال الاقتصادي هو الذي يقيس موارد الفرد المادية والمالية، ويرصد ثرواته وممتلكاته، ويحدد دخله الشهري والسنوي.

•الرأسمال الثقافي: يقيس موارد الفرد الثقافية، مثل: الدبلومات والشهادات العلمية والمهنية، والمنتوج الثقافي من مقالات وكتب ودراسات وأعمال إبداعية وثقافية وفنية، وما يملكه من مهارات وكفاءات ومواهب وقدرات معرفية ومهنية وحرفية في مجال الثقافة.

•الرأسمال الاجتماعي: يقيس ما يملكه الفرد من علاقات اجتماعية ومعارف وصداقات، تعود إلى ذكائه الاجتماعي الذي يستثمره لربط مجموعة من صلا ت الرحم والقرابة والصداقة والزمالة.

•الرأسمال الرمزي: ويتضمن الرأسمال الاقتصادي، والرأسمال الثقافي، والرأسمال الاجتماعي، وبهذه الأنماط يتميز الفرد مجتمعيا عن باقي الأفراد الآخرين.

11. خاتمة :

وخلاصة القول، يتبين لنا، مما سبق ذكره، بأن بيير بورديو من أهم السوسيولوجيين الملتزمين بالتصور الماركسي في نقد السياسة الرأسمالية. وقد انشغل بتقديم نظرية سوسيولوجية للمجتمع في ضوء المقاربة الصراعية. ومن جهة أخرى، أعطى أهمية كبرى لدراسة الطبقات المجتمعية، وتحليل التراتبية الطبقية والاجتماعية، واستجلاء دور الثقافة في هذا الصراع المجتمعي والطبقي، مع التركيز على المدرسة باعتبارها فضاء للتنافس والتطاحن والصراع واللامساواة الاجتماعية والطبقية.

ومن ثم، فقد اتخذ بيير بورديوالسوسيولوجيا أداة لنقد العالم الليبرالي الجديد، وفضح مؤسساته الإيديولوجية القائمة على الهيمنة والسيطرة وإخضاع الآخرين، على أساس أن مؤسسات الدولة الشرعية، مثل: المدرسة، والإعلام، والصحافة، والدين، تمارس نوعا من العنف الرمزي تجاه الآخرين.

علاوة على ذلك، فقد تمثل بيير بورديو المنهجية البنيوية التكوينية، من خلال الجمع بين الفعل وبنية المجتمع، وتجاوز مجموعة من الثنائيات التي أخضعت منهجيا للهابيتوس. ومن ثم، فقد وظف بيير بورديو مجموعة من المفاهيم والمصطلحات السوسيولوجية، ما زالت في حاجة إلى سبر، وتوضيح، وتنقيح، وتأويل، ولاسيما الهابيتوس، والحقل، والعنف الرمزي، والتميز، وغيرها من المفاهيم الإشكالية الأخرى.

قائمة المراجع:

بيير بورديو. (1986). *الرمز والسلطة*. (عبد السلام بن عبد العالي، المترجمون) الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

جون سكوت. (2013). *علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية* (الإصدار 02). (محمد عثمان، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

حسن أحجيج. (2017). *نظرية العالم الاجتماعي: قواعد الممارسة السوسيولوجية عند بيير بورديو*. الرباط: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

حسني إبراهيم عبد العظيم. (06, 2011). الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي: قراءة في سوسيولوجيا بيير بورديو. *المجلة العربية لعلم الاجتماع*(15).

خالد المير، إدريس قاسمي، و أخرون . (1995). أهميّة سوسيولوجيا التربيّة، والمدرسة ووظائفها. *سلسلة التكوين التربوي*(03)، 13-30.

سمير عبد الله حسن. (2003). النظام الاجتماعي من منظور بنائي وظيفي ، العدد الأول، المجلد التاسع عشر، ص201. *مجلة جامعة دمشق، 19* (01).

فريديريك ليبارون. (2015). *منهجية بيير بورديو في العمل*. باريس : دونود.

Bourdieu, P. (1979). *La Distinction. Critique sociale du jugement.* Paris: Les Éditions de Minuit.

Bourdieu, P. (1984). Espace social et genèse des "classes". *Actes de la Recherche en Sciences Sociales*, 3-14.

Bourdieu, P. (1984). *Question de sociologie,,.* (Cérès Productions Tunis, 1993, Éd.) Paris: Les Éditions de Minuit.

Bourdieu, P. (1987). *Choses dites.* Paris: Les Éditions de Minuit.

Bourdieu, P. (1996). *Sur la télévision suivi de L'emprise du journalisme.* Paris: Liber.

Bourdieu, P. (1998). *La Domination masculine.* Paris: Le Seuil.

Bourdieu, P., & Passeron, J.-C. (1964). Les héritiers: les étudiants et la culture. *Grands documents*.

Bourdieu, P., & Wacquant, L. (1992). *Réponses: pour une anthropologie réflexive.* Paris: Seuil.

Habermas, J. (1997). *Droit et démocratie.* Paris: Gallimard.